

لا يبعد أنه نظم بعض المعارف البانية، واهتدى إلى بعض الجزئيات، ولا أشك في أن السكاكي استعان بصنيع الزمخشري هذا واهتدى بنبراسه في كثير من قواعده التي دونها في كتابه (المفتاح) وليضرب لذلك مثلاً: عند قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون" يقول: (واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم ما استؤنف عنه الحديث كقولك، أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالاحسان وتارة بإعادة صفته كقولك، أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك، فيكون الاستئناف بإعادة أحسن وأبلغ لا نطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وفي أسم الإشارة الذي وهو أولئك إيذان بأن ما يرد عقبيه، فالمذكورون قبله أهل لا كتسابه من أجل الخصال التي عدت لهم كما قال حاتم، و صعلوك، ثم عدد له خصلاً فاضلة، ثم عقب تعديدها بقوله:

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه * * * وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً

و معني الاستعلاء في قوله (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه، وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه، ونحوه هو على الحق، وعلى الباطل، وقد صرحوا بذلك في قولهم: جعل الغواية مركباً، وامتطي الجهل، واقتعد غارب الهوى، ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً، لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره كأنه قيل، على أي هدى، كما تقول، لو أبصرت فلانا لا بصرت رجلاً، وقال الهذلي:

فلا، وأبى الطير المربة بالضحي * * * على خالد، لقد وقعت على لحم

و في تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح، فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمنابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها

(فان قلت) لم جاء مع العاطف؟ وما الفرق بينه وبين قوله: أولئك كالانعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون؟ (قلت): قد اختلف الخبران هنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فأنهما متفقان لان التسجيل عليهما بالغفلة